مكتبة المغامرات
١٦

سر الجزيرة الغامضة

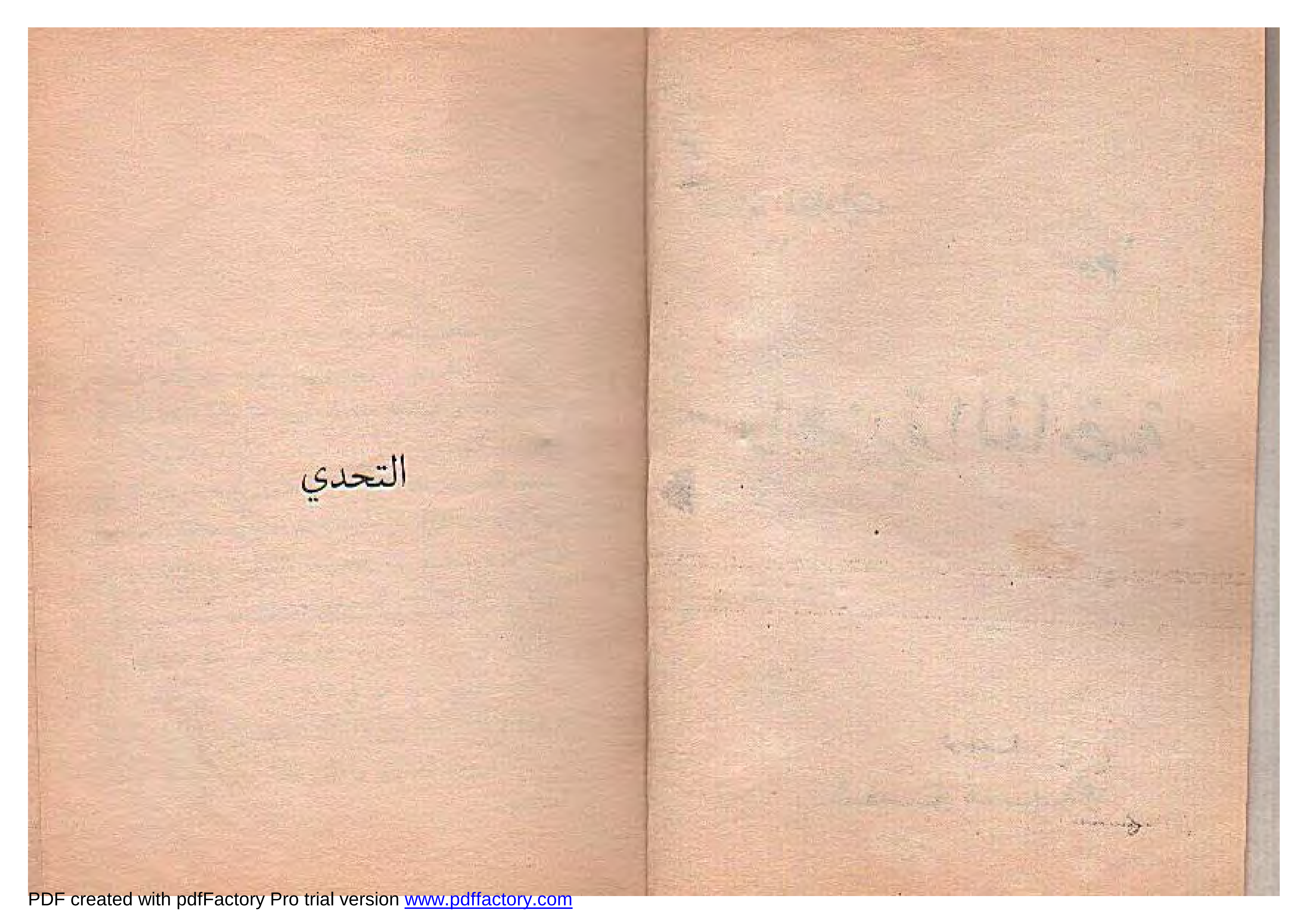
شفيق مهدي

مكتبة المغامرات
١٦

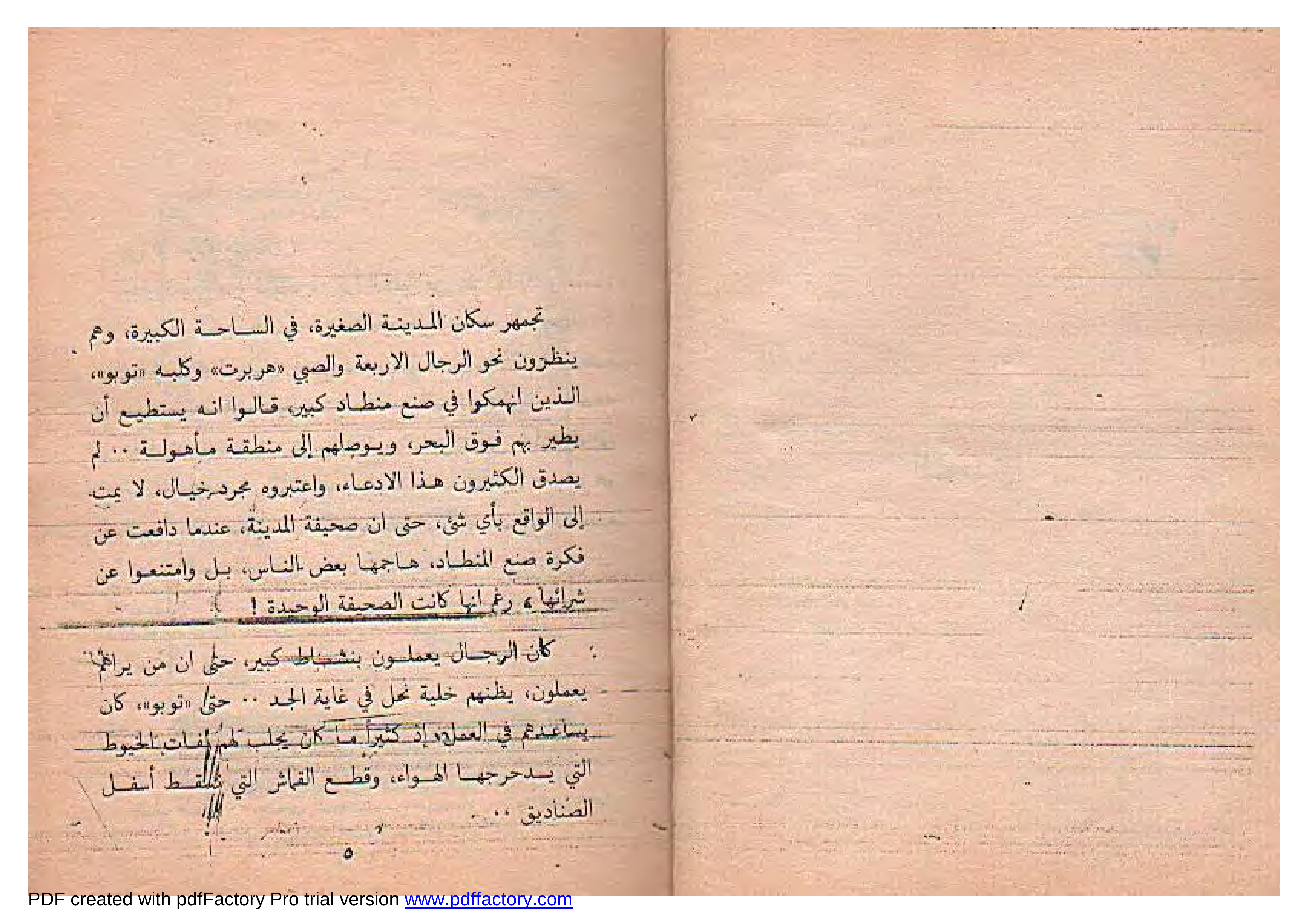
سر الجزيرة الغامضة

ترجمة

شفيق مهدي



التحدي



تجمهر سكان المدينة الصغيرة، في الساحة الكبيرة، وهم ينظرون نحو الرجال الاربعة والصبي «هربرت» وكلبه «توبو»، الذين انهمكوا في صنع منطاد كبير، قالوا انه يستطيع أن يطير بهم فوق البحر، ويوصلهم إلى منطقة مأهولة .. لم يصدق الكثيرون هذا الادعاء، واعتبروه مجرد خيال، لا يمت إلى الواقع بأي شئ، حتى ان صحيفة المدينة، عندما دافعت عن فكرة صنع المنطاد، هاجمها بعض الناس، بل وامتنعوا عن شرائها، رغم انها كانت الصحيفة الوحيدة !

كان الرجال يعملون بنشاط كبير، حتى ان من يراهم يعملون، يظنهم خلية نحل في غاية الجد .. حتى «توبو»، كان يساعدهم في العمل، إذ كثيراً ما كان يجلب لهم لفات الخيوط التي يدحرجها الهواء، وقطع القماش التي تسقط أسفل الصناديق ..

- ١ -



من هم هؤلاء الرجال ؟

«هاردنك»: عالم مثقف ·· قرأ الكثير عن علم الفلك والفضاء ·· وقام باجراء العديد من التجارب والابحاث الناجحة· كما ان محاولاته العديدة، لصنع نماذج من المناطيد، كانت موفقة ·· وأخرها كان محاولة صنع منطاد يتسع لشخصين ·· فصنعه وطاربه مع صديق له مسافة مائة وعشرين كيلومتراً، إلى مدينة «دوفر» ·· اقرب المدن إلى مدينته الصغيرة · وها هو اليوم يقود الحملة لصنع هذا المنطاد الكبير، يثبت انه يستطيع اجتياز البحر العريض، بأمان ! انه يفعل ذلك وهو مؤمن بما يعمله !

- ٢ -

أما الرجل الثاني فهو «بنكروفت» ·· و«بنكروفت» هذا بحار قدير ·· جاب العديد من البحار ·· وداهمته أعتى



وطار به مع صديق له مسافة «١٢٠٠» كيلو متراً

العواصف وأقواها، وهو في عرض البحر، لكنه استطاع مرات عديدة، انقاذ السفينة التي يقودها، وايصالها إلى شاطئ الأمان. وكم من مرة خاطر بحياته، في سبيل ركاب السفينة الجائعين، الذين تاهت سفينتهم وسط البحر، بفعل الاعاصير .. كم مرة خاطر بالغوص في اعماق البحر المظلم، باحثاً عن الاسماك والمحار، لرفاقه الجائعين .. كم مرة هاجمته أسماك القرش الخطرة !

لا يزال «بنكروفت» يذكر جيداً، سمكة القرش البيضاء التي هاجمته من الخلف، وكادت تمزقه تمزيقاً، لو لم يسارع ويلقي في فمها سمكة التونة الكبيرة التي اصطادها. ولم يخلُ جسده طبعاً من آثار نهشات اسماك القرش العديدة ..

أيام مضت ومضت، انشغل بعدها «بنكروفت» في صناعة السفن، حتى أصبح واحداً من أمهر صناع السفن .. وها هو اليوم، وقد شد عزمه، ليشارك العالم «هاردنك» مغامرته !

- ٣ -

الرجل الثالث هو «جديون سبيلت» .. كاتب مغامرات مثيرة ومشوقة، يحرص دائماً أن يجعلها تحبس انفاس القارئ .. وصحفي ممتاز، وهو الذي دافع عن فكرة «هاردنك» وعن منطاده ومغامراته الجديدة، وهو الذي تحمل نقد الكثيرين وتهجماتهم ..

وفوق هذا، فهو رجل قوي الجسد، ضخم الجسم، كأنه عملاق، وشعره أحمر .. كأنه شعر أبيض خضب بالحناء .. وهو من أشد المتحمسين لمنطاد «هاردنك». ومن أشد المتلهفين للقيام بمثل هذه الرحلة المثيرة. وهو الذي صرح في المؤتمر الصحفي، الذي عقد لمناقشة هذه الرحلة:

- اسمعوني جيداً ايها الزملاء .. سأكتب عن هذه الرحلة، أحد عشر مجلداً، عشرة مجلدات عن وصف الرحلة وما يجرى لها، والمجلد الحادي عشر، سأتحدث فيه، عن هواجسي، أنا !

- ٤ -

أما الرجل الرابع، فهو «نيب» .. و«نيب» عملاق أسمر، يكاد يضاهي «سبيلت» في ضخامته، إلا ان تقاطيع جسمه تبدو أكثر وضوحاً. وهو يعمل مساعداً للاستاذ «هاردنك» منذ أكثر من عشر سنوات، ورفيق رحلاته ومغامراته العلمية السابقة. وها هو اليوم يعمل بكل ما يستطيع من قوة، لانجاح هذه الرحلة، وليثبت ان استاذه عالم كبير، يعرف ما يقول ويعنيه .

- ٥ -

أما الصبي، فهو «هربرت»، وهو ابن «بنكروفت» .. صبي شجاع يحلم بالمغامرات، وشارك والده في العديد من رحلاته. وصياد سمك بارع في الصنارة، كبراعته ومهارته، في مسك الطيور البرية بيديه .. يعتبر ان هذه الرحلة، هي رحلة العمر طبعاً.

ولم يستطع «هربرت» التخلي عن كلبه «توبو» طبعاً ! فقرر أن يصحبه .

و «توبو» كلب شجاع .. وَفيٌّ ومخلص .. ساعد «هربرت» وأباه كثيراً، في تخليصهما من المآزق والمخاطر، ومنها عندما اصطاد «هربرت» سمكة كبيرة لم يستطع جذبها، فجذبته وسقط في الماء، فتلقفته دوامة، لم يخلصه منها سوى «توبو» .

● ● ● ●

اطلاق «المغامر»

- ١ -

مرّ اسبوع على بداية العمل المتواصل، في صنع المنطاد ..
وفي اليوم الثامن، أعلن «هاردنك» للناس المتجمهرين حوله،
ان منطاده على أتم الاستعداد للتحليق .. وان هذا التحليق
سيتم بعد يومين، لأن عليه الآن أن يجهزه بما يحتاجونه من
أطعمة واجهزة وملابس .

نعم .. بعد يومين، سيتم تحليق المنطاد، الذي اطلقوا عليه
اسم «المغامر» .. وبالضبط، في الساعة التاسعة صباحاً. وعلى
من يريد أن يشاهد ذلك، فعليه أن يحضر لرؤية ذلك. ولم
يكتف «هاردنك» بهذه الدعوة الشفاهية، بل وجه دعوات
مكتوبة، إلى الناس الذين كذبوه، وشككوا في قدرته على
القيام بهذا العمل !

- ٢ -

جاء يوم الاثنين .. اليوم الموعود لاطلاق «المغامر» .. وتجمهر الناس في الساحة الكبيرة، قبل الساعة التاسعة، بساعات عديدة، وهم يتشوقون ليروا ماذا سيحل بهذه المغامرة العجيبة .

جاء العالم «هاردنك» ورفاقه في الساعة الثامنة والنصف، وهم يرتدون ملابسهم الأنيقة. وساروا وسط حشود الناس، وشقوا طريقهم بصعوبة نحو المنطاد .. كان الاستاذ «هاردنك» أول الصاعدين أليه. ثم تبعه مساعده «نيب» وبعد «نيب» صعد البحار «بنكروفت» وهو يقود «هربرت» الذي يحمل كلبه «توبو» ..

أما «سبيلت» فقد تجمع حوله عدد من الناس وممثلو صحيفة المدنية، وراحوا يمطرونه بوابل من الاسئلة، فكان يجيب عليها بشغف وإثارة!

- ٣ -

اعتلى المغامرون سلة «المغامر» .. وعندما دقت ساعة المدينة دقاتها التسع، أمسك «هاردنك» السكين بيده، وقطع حبال المنطاد، فأخذ يرتفع شيئاً فشيئاً، والناس ينظرون اليه بعجب .. أما «هاردنك» فانه لما انتهى من اطلاق المنطاد، لوح بيديه الاثنتين للناس، وفعل مثل بقية رفاق الرحلة، فارتفعت ايدي جميع الناس، بلا استثناء تحييهم وتصفق لهم من الاعماق !

- ٤ -

أخذ «هربرت» ينظر إلى اسفل .. رأى الناس يصغرون ويصغرون، لكنه كان يرى بوضوح غابة البندق، التي كان يقضي فيها أوقاتاً سعيدة، مع «توبو». يطاردان السناجب المرحة، ويعيدان فراخ العصافير الساقطة على الأرض إلى أعشاشها ..

حتى الغابة بدأ حجمها يصغر ويصغر، واصبحت بقدر حجم بندقة واحدة، ثم اختفت عن البصر .

اقترب «هاردنك» من «بنكروفت» وحياه مبتسماً، فقال «بنكروفت» :

- حتماً ان رحلة الهواء، تختلف عن رحلة الماء !

أجاب «هاردنك» : .

- ستعرف الفرق قريباً ! ان رحلة الهواء لا تكاد تختلف عن رحلة الماء، في المخاطر .. في البحر تعترينا مخاطر الاعاصير والأمواج الثائرة، أما هنا فتداهمنا مطبات الهواء .. انها عنيفة جداً، تشبه عنف «التورنادو» في البحر !

- ٥ -

ها هو «المغامر» يطير محلقاً فوق البحر الأزرق الصافي .. كان ركابه يحملقون فيه، فيرون السفن تمخر عبابه، وكأنها خطوط صغيرة، متحركة فوق ورقة زرقاء كبيرة الحجم جداً .

أحس «هربرت» ببعض البرودة، فلف حوله معطفه، واحتضن «توبو» وراح ينظر بذهول إلى البحر، والى السماء .. ها هو الآن في مغامرة العمر .. سيصف لأصدقائه كل ما رآه وما سيراه .. سيصف له الأرض وغابة البندق والبحر، كيف تبدو من المنطاد .. سيصف لهم كل شئ .. وسيتحدث لهم عن سرب البط، الذي نظر إلى المنطاد مذهولاً، فقد ظنه طائراً غريباً. سيتحدث لهم عن قائد البط الشجاع، الذي اقترب من «الطائر الغريب» وراح ينقره محاولاً ابعاده !

● ● ● ●

محنة فوق البحر

ـ ١ ـ

تغيرت تلك المشاهد الساحرة، بعد ثلاث ساعات من طيران «المغامر» ·· فقد انقلبت السماء الزرقاء إلى لون رمادي، وانقلبت زرقة البحر المخضرة إلى لون داكن · وأخذت مياهه تتموج قليلاً ·· وبعدها هبت ريح شديدة رفعت المنطاد إلى الاعلى ثم انزلته بقوة وعنف، فاضطر «هاردنك» للصياح :

ـ تمسكوا بالحبال جيداً! تمسكوا جيداً!

أخذ كل واحد يتمسك بالحبال التي حوله بقوة ·· أما «هربرت»، فقد وضع كلبه في حضنه بقوة، ثم جلس وأمسك بالحبل القريب منه. ازداد سقوط المنطاد ·· رفع «هاردنك» صوته متسائلاً :

ـ «نيب» ·· أما زال المنطاد يرتفع ؟

صرخ «نيب» عالياً :

ـ لا ! انه يسقط !

ـ إذن ارموا الاغطية !

ـ ٢ ـ

امتدت أيدي «سبيلت» و «نيب» و «بنكروفت»، ورمت الاغطية في البحر ·· فسأل «هاردنك» :

ـ والآن يا «نيب» ؟

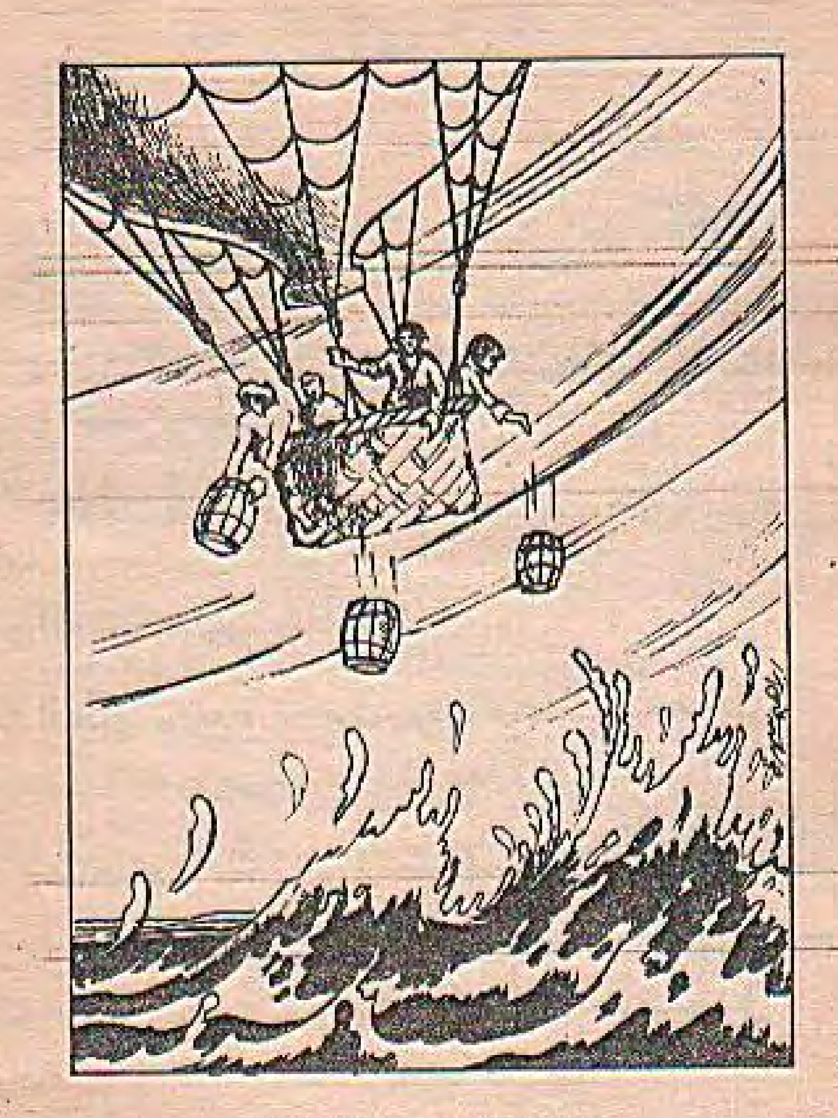
أجاب «نيب» :

ـ انه يرتفع من جديد ! حمداً لله !

عاد المنطاد يرتفع مرة أخرى، وفجأة هطلت زخة مطر قوية، فعاود «المغامر» هبوطه ·· صاح «هاردنك» :

ـ أرموا الآن براميل المياه ·· بسرعة، والا سنسقط في البحر!

امتدت الايادي،وحملت براميل المياه الثقلية، وغيبتها في اعماق المياه الثائرة ، فعاد المنطاد يرتفع !



امتدت الأيادي ورمت براميل الماء .

- ٣ -

عندما أخذ المغامر يهبط نحو الماء، مرة ثـالثـة، أمر «هاردنك» بأن ترمى جميع الحمولة .. فتم رمي الطعام والبنادق وحتى أدوات الحلاقة ! فارتفع المنطاد قليلاً، لكن عاصفة هو جاء، جعلته ينزل نحو البحر بسرعة، حتى كادت أمواجه الثـائرة ان تغرق المنطـاد بمن فيه، لو لم يسارع «هاردنك» إلى الصراخ من جديد :

- اقطعوا السلة، وتشبثوا بالشبكة !

تسلق المغامرون الشبكة، وقطع «نيب» حبال السلة بسرعة، فهوت نحو البحر، وابتلعتها الامواج في ثوان ! ارتفع المنطاد قليلاً !

- ٤ -

مرت ثلاثة ساعات، والاصدقاء معلقون بحبال الشبكة

بقوة، لكن المنطاد أخذ يهبط نحو البحر، من جديد. صاح «سبيلت» :

- المنطاد يسقط من جديد !

صرخ «نيب» :

- ما الذي نفعله الآن ؟ سنسقط في البحر !

نظر «هاردنك» الى أمواج البحر، فرآها تتلاطم، ونظر إلى وجوه زملائه، فرأى عليها الشحوب والتعب .. قال «هاردنك» في نفسه :

- لقد جلبتهم على مسؤوليتي .. ومسؤوليتي الآن هي انقاذهم .. نعم .. يجب انقاذهم !

وبسرعة ، رمى نفسه في البحر فخفت حمولة المنطاد، وأخذ يرتفع من جديد !

لاحت جزيرة من بعد، بينما كاد المنطاد أن يلامس الأمواج .. أخذت الجزيرة تقترب .. وعندما كاد المنطاد أن يسقط في البحر، هبت ريح قوية، دفعته نحو الجزيرة، فلامست حباله الارض .. وبسرعة نزل الركاب منه، فعاد يرتفع من جديد، حتى غاب في كبد السماء !



بسرعة نزل الركاب من المنطاد .

الجزيرة الأخرى

- ١ -

أصبح الرجال الآن فوق الجزيرة .. وزال عنهم خطـ
الغرق في البحر .. الجزيرة التي يسيرون عليها الآن، جزير
صغيرة، لا ماء فيها ولا شجر، ولا أثر لأية حياة .. وبالقر
منها توجد جزيرة أكبر منها ، فيها تلال وأشجار وأنهار..
عليهم الذهاب الى تلك الجزيرة إذن،ولكن بين الجزيرتين
يوجد البحر .. عليهم إذن قطع هذه المسافة .. اقترب «نيب
من ساحل الجزيرة .. نظر نحو الجزيرة الكبيرة، ثم نظر الى
المسافة المائية، التي تفصل بين الجزيرتين .. انها مسافة تبد
قصيرة، ومن الممكن إجتيازها .. قال «نيب» :

- المسافة قصيرة، سنسبح الى تلك الجزيرة .. «هربرت»،أنـ

متأكد انك تستطيع السباحة إلى هناك بسهولة .

ضحك «هربرت» وقال :

- سترون من يصل أولاً !

ثم رموا بانفسهم في الماء، مرة واحدة !

- ٢ -

وصلت المجموعة إلى منتصف المسافة، يتقدمها «بنكروفت»، ويتبعه «هربرت» و «توبو»، ثم «نيب» وبعده «سبيلت»... وفجأة صرخ «بنكروفت» بقوة :

- انتبهوا ! اسماك القرش تقترب منا ! ابقوا هادئين قدر الامكان .. لا تحدثوا صوتاً اثناء السباحة ! الضوضاء تجذب انتباه القرش ..

وبالرغم من الهدوء الذي صنعوه، فان احدى سمكات القرش اقتربت منهم، واتجهت نحو .. «هربرت» ..

لم يدر «هربرت» ما عليه أن يفعل .. انها المرة الأولى التي

يواجه فيها سمكة قرش، وجهاً لوجه !

صاح «بنكروفت» بقوة، وهو يسبح باتجاه «هربرت»:

- انتبه يابني .. سآتيك !

لكن سمكة القرش كانت أسرع من الاب، فاصبحت بالقرب من «هربرت» واندفعت نحوه مهاجمة .. وأيقن الجميع ان «هربرت» هالك لا محالة !

- ٢ -

وفجأة شق سكون الماء، رشاش قوي اندفع كالسهم نحو السمكة، والتحم معها التحاماً عنيفاً .. انه «توبو» الشجاع، الذي ما ان رأى سمكة القرش تقترب من صديقه، حتى اسرع سابحاً بكل قوته، لانقاذه ! اصطبغ ماء البحر بلون أحمر، سرعان ما بدأ ينتشر، ومن وسطه رفع القرش نفسه عالياً إلى الاعلى، ثم سقط هالكاً في الماء .. ومن مكان آخر أطل رأس «توبو»، وهو يسبح باتجاه «هربرت» ..

عندما رأت بقية أسماك القرش، السمكة الجريحة هاجمتها وانشغلت بأكلها فاستطاع الأصدقاء الوصول الى الجزيرة بأمان !

- ٣ -

أول ما فعله الأصدقاء عندما وطأت أقدامهم أرض الجزيرة، ان تفحصوا «توبو». فوجدوا آثار خدوش على جسده، ووجهه مغطى بالدم .. صاح «هربرت» بألم :

- ماذا حل بـ« توبو » ؟
- لا شئ يابني .. جروح طفيفة ..

أجاب «بنكروفت» .. لكن «هربرت» عاود السؤال :

- وما هذا الدم الذي يغطي وجهه ؟

أجاب الأب :

- انه دم القرش .. «توبو» يعرف نقطة الضعف عند القرش، فهاجم هذه السمكة الخطرة من بطنها وفتك بها .. وهذا هو دم القرش .. سأغسله الآن بماء البحر، انه سيشفيه لما

يحتويه من أملاح ومعادن !

وبعد أن تم غسل «توبو»، عاد نظيفاً من جديد !

- ٤ -

قال «نيب» :

- سأبحث أنا عن الأستاذ «هاردك» .

وقال «سبيلت» :

- سأبحث أنا عن مأوى لنا !

وقال «بنكروفت» :

- أما أنا و«هربرت»، فسنبحث عن طعام .. وأنت يـ «توبو» أبق هنا، وسنعود اليك، لأن جراحك لم تشف بعد .

هز «توبو» ذيله موافقاً، فاسرع الجميع، كل إلى عمله الذي قرر أن يقوم به .

- ٥ -

سار «بنكروفت» و«هربرت» بمحاذاة الساحل، يبحثان عن طعام يصلح للأكل، لأن الأصدقاء كانوا في غاية الجوع .. بعد قليل، وصلا إلى بعض الصخور .. نظر اليها «بنكروفت» ملياً، ثم قال بفرح :

- وجدت شيئاً من الطعام ! وجدت طعاماً يا «هربرت» !

سأل «هربرت» :

- أين الطعام يا أبي ؟ أنا لا أرى شيئاً غير الصخور .. وأنا لا آكل الصخور، حتى لو مت من الجوع !

ضحك الأب وقال :

- ولا أنا أيضاً ! ولكن انظر إلى ما التصق بالصخور .. انه المحار ! المحار اللذيذ ! هيا لنجمعه !

اندفع الأب والابن نحو الصخور، وبدءا يلتقطان المحار، فجمعا منه كمية جيدة .

نظر الأب حوله، فرأى صخوراً كبيرة، فقال :

- تلك الصخور والسقوف، تصلح أن تكون مأوى لنا ! انها لا تحتاج إلاّ إلى باب، وجدار آخر ! نستطيع بناء الجدار، من الصخور المبعثرة، ولكن كيف نبني الباب ؟

قال «هربرت»

- نجلب الخشب من الغابة !

- ٦ -

اندفعا نحو الغابة، وجمعا خشباً كثيراً .. قال «هربرت» :

- لا نملك سيارة أو حماراً أو حصاناً أو عربة لنقل الخشب .. ماذا نفعل ؟

أجاب الأب :

- لكننا نملك الماء! الماء سينقل لنا هذه الأخشاب إلى مكان البيت ! انحدرت الأغصان والخشب مع جريان الماء، وبعد قليل وصل الاثنان إلى مكان البيت، فسحبا الخشب من

الماء، وأسرعا يصنعان الباب ..

بعد حوالي ساعة .. أصبح البيت جاهزاً للسكن ! ورجعا يبحثان عن «توبو»، فلم يجداه ولم يجدا أحداً، فقررا الرجوع إلى البيت، لأن الظلام بدأ يهبط .

••••

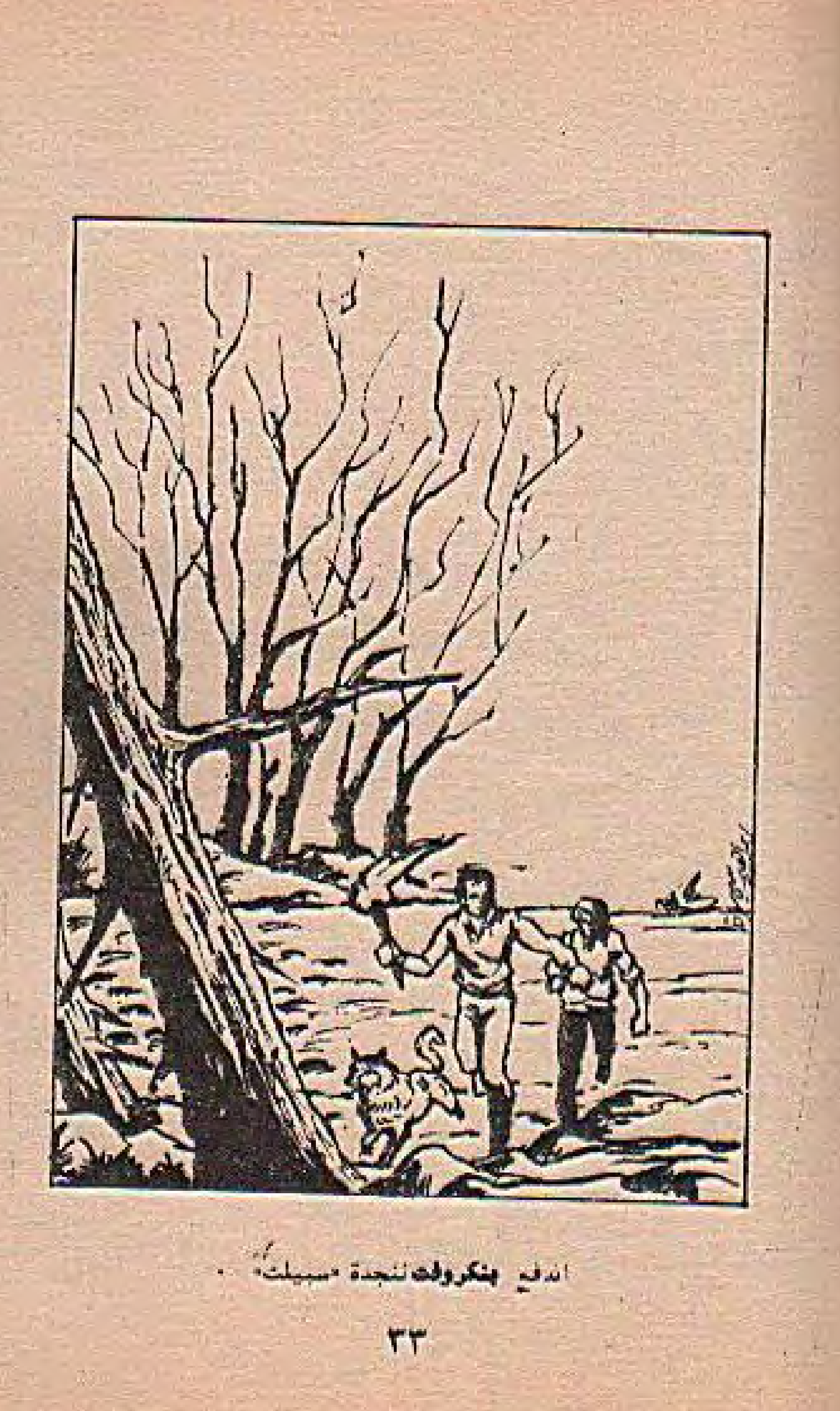
البحث عن «هاردنك»

- ١ -

كان الهدوء يسود الجزيرة، ولا يسمع في هذا الليل الموحش، سوى حفيف أوراق الاشجار، أو هرير قط وحشي صغير، لعله ينادي امه، التي خرجت تبحث عن صيد، يسد جوع صغارها وجوعها .. وفجأة، مزق سكون الليل صراخ قوي:

- بنكروفت .. النجدة !

انه صوت «سبيلت» ! لابد انه في خطر ! هب «بنكروفت» من نومه بأقصى سرعة، والتقط من النار غصناً مشتعلاً، ثم اندفع نحو الخارج بكل قوته، يتبعه «هربرت» الذي فعل الشيء نفسه !



اندفع بنكروفت لنجدة «سبيلت» .

- ٢ -

- بنكروفت .. انجدنا فهد أسود يحاصرنا !

صاح «بنكروفت» عاليا :

- أنا قادم يا «سبيلت» ! أنا قادم !

واندفع نحو مصدر الصوت، وهو في غاية الحذر .. وهناك في دغل من الاشجار، رأى فهدا أسود اللون كالفحم ـ بعينين متقدتين كأنها الجمر، وهو يستعد للوثوب على «سبيلت» الذي اتكأ على جذع شجرة، وبقربه «نيب» وهما لا يعرفان ماذا يفعلان !

تقدم «بنكروفت» بحذر نحو الفهد الأسود، وقد مد الغصن الملتهب أمامه، باتجاه الفهد، الذي ما إن رأى النار، حتى زمجر بقوة، ثم ولى هاربا، واختفى في أعماق الغابة !

- ٣ -

رجع الأربعة إلى البيت، وهيأ «بنكروفت» الطعام

لـ«سبيلت» و«نيب»، اللذين شعرا بأسف شديد، لأنهما لم يستطيعا العثور على «هاردنك» و «توبو» .

قال «بنكروفت» :

- لا أظن اننا نستطيع العثور عليه في هذا الليل، وخصوصا ان الغابة مليئة بالحيوانات المتوحشة .

أضاف «نيب» :

- سنبحث عنه عند بزوغ الفجر ..

اضطجع الاربعة حول النار، لكن لم يغمض جفن لأي واحد منهم !

اضطجع الاربعة حول النار

- ٤ -

اشتد الوقت بالليل، حتى أوشك النهار على الطلوع، وبدأت طيور الغابة تعزف الحانها الكثيرة .. وفجأة حدثت ضجة حول الباب .. نهض الاربعة بسرعة .. قال «بنكروفت» :

- ما هذا ؟

أجاب «سبيلت» :

- سأفتح الباب، لأرى من القادم .

تقدم «سبيلت» نحو الباب، يتبعه بقية الرجال، وعندما فتحه، اندفع منه «توبو» !

- توبو .

اندفع «توبو» نحو «هربرت» أولاً، ثم اندفع نحو الباب .. قال «هربرت» :

- انه يريدنا أن نتبعه !

قال «نيب» بسرعة :

- هيا إذن بلا تردد !

ركض «توبو» نحو الغابة، يتبعه الاصدقاء .. ثم زاد «توبو» من سرعته. فوصل الجميع إلى جبل .. دخل «توبو» إلى كهف .. كان «هاردنك» يرقد فيه، نظروا نحو «هاردنك»، كانت عيناه مغمضتين .. انحنى الاربعة نحو «هاردنك» يفحصونه .. قال «بنكروفت» :

انه حي : الحمد لله ! هربرت .. اجلب بعض الماء !

أسرع «هربرت» واحضر الماء، وناوله إلى أبيه، الذي جعل «هاردنك» يشربه. ففتح عينيه، وأخذ يحدق بما حوله .

هاردنك يرقد في الكهف

- ٥ -

تساءل «هاردنك» :

- أين المنطاد ؟ آه تذكرت. سقطت في البحر، ثم خرجت من الماء .. لا أتذكر شيئاً آخر !

وعندما لامست يده الحشيش النابت على الأرض، صاح بعجب :

- حشيش ! لا أتذكر شيئاً عن هذا الحشيش ! لم أر حشائش

هل البحر قريب من هنا ؟

أجاب «بنكروفت» :

- لا .. انه ليس قريباً، يبعد عنا ثلاثة كيلومترات !

تساءل «هاردنك» باستغراب شديد :

هذا مستحيل! عندما وصلت إلى الشاطئ سباحة، كدت أموت من التعب .. ترى، كيف استطعت السير هذه

المسافة الطويلة !

مستحيل ذلك .. هل حملني أحد ؟

نفى «سبيلت» ذلك، قائلاً :

- لا ! لا يوجد شخص عدانا على الجزيرة ! لم يحملك أحد !

نهض «هاردنك» بتثاقل، يساعده «نيب»، وسار الجميع نحو البحر .. قال «هاردنك» :

- اذكر جيداً انني خرجت من الماء، وسقطت في هذه المنطقة من التعب، لم أعد أقوى على السير خطوة واحدة .. ولكن، انظروا ! انظروا إلى هنا !

كانت هنالك آثار أقدام .. قال «هاردنك» :

- انها ليست آثار أقدامي .. انها آثار أقدام ترتدي أحذية، وأنا خلعت حذائي، ورميته في البحر ! آثار من هذه ؟

نعم .. آثار من ؟

تساءل «نيب» :

ـ هل توجد أشباح في الجزيرة ؟

قال «هربرت» :

ـ لكن الاشباح لا ترتدي أحذية !

●●●●



صاح هاردنك انظروا هناك

شبح الجزيرة

- ١ -

أشرقت الشمس باسمة على الجزيرة، فاستيقظ الرجال، وذهبوا إلى البحر، ليغسلوا ايديهم ووجوههم، يسبقهم «توبو» طبعاً، وهو يقفز فرحاً، لعله بسبب اجتماع الشمل من جديد. وبعد أن أتموا ذلك، قفلوا راجعين إلى البيت .. قال «هاردنك» :

- أنا جائع جداً . هل لديكم شيئاً نأكله ؟

أجاب «بنكروفت» على الفور :

- نعم .. نعم .. لدينا محار وبيض

تساءل «هاردنك» :

- وبيض ؟ يعني هذا وجود طيور ! هذا حتماً يعني وجود طيور!

- سنأكل لحم الطيور إذن !

لكن «سبيلت» سرعان ما تساءل :

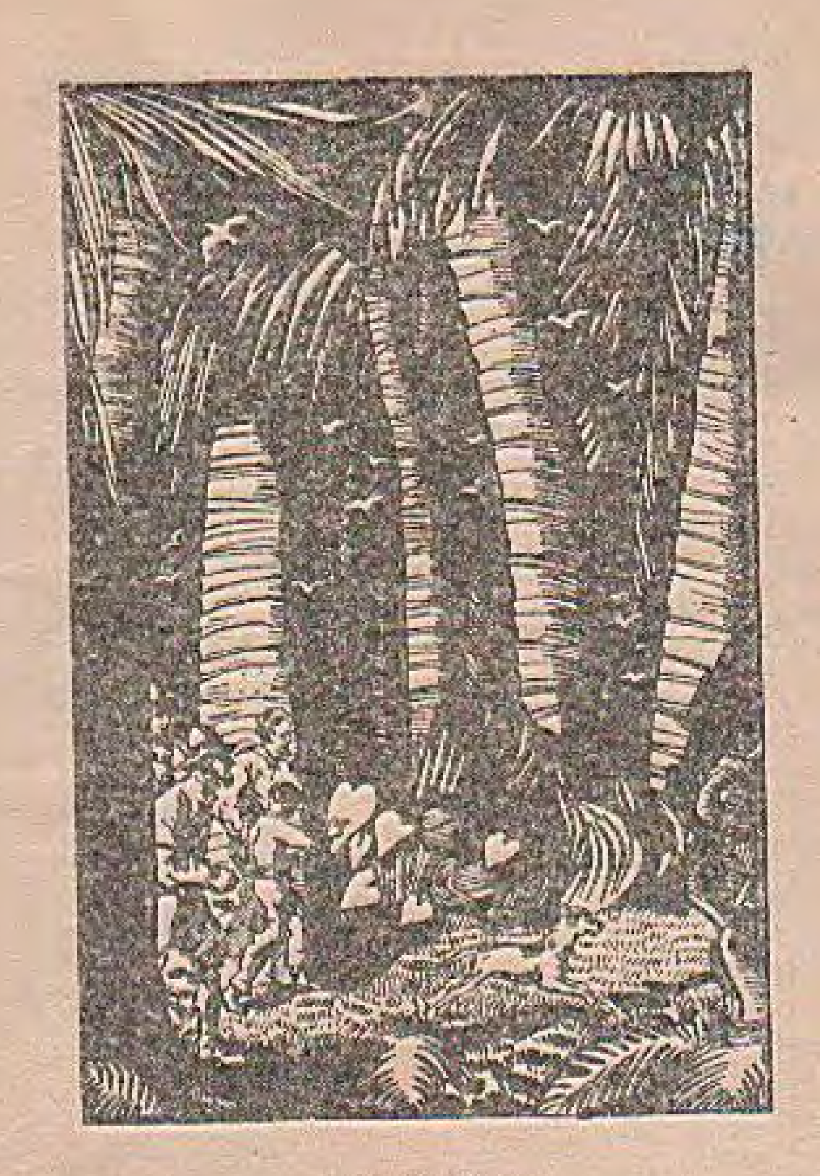
- ولكن كيف نستطيع صيد الطيور، ونحن لا نملك بنادق أو أي سلاح آخر ؟

قال «نيب» :

- ربما نستطيع صيدها بالحجارة !

نظر إليه «هاردنك» مبتسماً، ثم قال :

- ربما نستطيع أن نفعل ذلك .. هيا معي، لنستخدم طريقة جدنا الانسان القديم، في صيد الطيور !



ذهب الرجال الى الغابة

- ٢ -

خرج الرجال من البيت، وذهبوا إلى الغابة .. انها غابة كبيرة، فيها العديد من مختلف أنواع الطيور .. وكانوا كلما اقتربوا من طائر، فر بسرعة، حتى قبل أن يرموا عليه الحجارة !

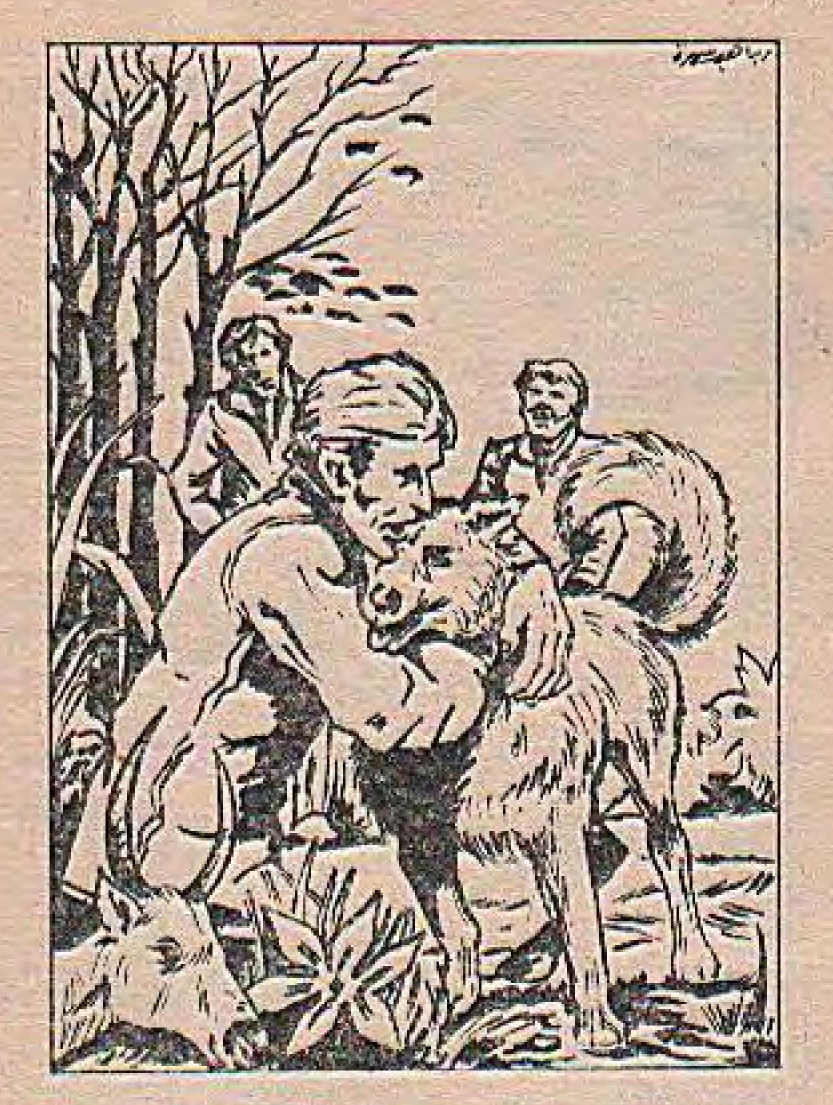
تلفت «هربرت»، حوله وسأل :

- **أين «توبو» ؟ «توبو» «توبو» أين انت ياتوبو** سمع نباح من بعيد .. انه نباح « **توبو** ».

اسرعوا نحو مصدر النباح .. كان « **توبو** » يقف هناك، وأخذ يهز ذيله لهم .. وبقربه طرحت غزالة كبيرة، على الأرض !

صرخ «نيب» بفرح :

- كم أنت رائع يا « **توبو** » ! اصطدت لنا غزالة ! لم أذق طعم لحم الغزال منذ سنتين ! سنشبع الآن من هذا اللحم اللذيذ !



اصطاد «توبو» غزالة كبيرة

حمل «سبيلت» القوي، الطريدة إلى البيت .. سلخوها ونظفوها، ثم أشعلوا ناراً، وبدأوا يأكلون بتلذذ، وكأنهم لم يأكلوا منذ شهرين !

صاح «بنكروفت» بألم :

ـ سني ! سني ! كسرت سني ! آه ! آه !

نظر اليه «هاردنك» مفكراً، ثم قال :

ـ ناولني سنك التي سقطت !

مد «بنكروفت» يده، نحو «هاردنك»، وهي تمسك شيئاً !

ـ ٣ ـ

عندما عاين «هاردنك» ذلك الشئ، قال :

ـ انها ليست سناً ! انها طلقة ! هل كانت في لحم الغزالة ؟

أجاب «بنكروفت» :

ـ نعم .. كانت في قطعة اللحم التي تناولتها .

فكر «هاردنك» بتمعن ثم قال :

- الغزالة إذن لم يصطدها «توبو».. لقد صيدت بطلقة نارية .. بضربة من سلاح ناري .. ولكن لا يوجد هنا أي سلاح .. ولا أي شخص عدانا !

قال «نيب» :

- حتماً ان الذي اصطاد الغزالة شبح .. الجزيرة مسكونة بالاشباح !

ترى من اصطاد هذه الغزالة !

ومن حمل «هاردنك» مسافة الكيلومترات الثلاثة، من الشاطئ وحتى الكهف ؟

من ؟ ومن يؤمن بالاشباح ؟

أقواس وسهام

- ١ -

كان «هاردنك» هو قائد المجموعة، وهو الذي يصدر الأوامر للآخرين، ويطلب منهم ما يفعلونه .. قال بعد قليل :

- أشياء كثيرة يتحتم علينا انجازها، ملابسنا متسخة، ويجب غسلها، علينا أيضاً أن نصنع آنية للطبخ .. ثم علينا الحصول على طعام .. علينا ان نصطاد الطيور !

تساءل «بنكروفت» :

- وكيف ذلك ونحن لا نملك أي سلاح ؟

أجاب «هاردنك» :

- هذا صحيح .. وصحيح اننا لا نستطيع صنع بندقية، لكننا نستطيع صنع الأقواس والسهام .

بعد ان انتهى من ذلك، التفت ناحية «بنكروفت»، وقال له :

- الا تتفضل بالذهاب مع «هربرت» لصنع آنية الطبخ لنا ؟ التربة القريبة من الساحل، تربة صالحة وممتازة، لعمل الآنية .

ثم التفت «هاردنك» إلى «نيب»، وقال له :

- أما أنت يا «نيب»، فعليك غسل الملابس .

بعد ان انتهى «هاردنك» من مخاطبة «نيب»، قال لسبيلت :

- تعال معي يا «سبيلت»، لنصنع الأقواس والسهام !

- ٢ -

ذهب «نيب» ليغسل الملابس، وذهب «بنكروفت» و«هربرت» لصنع آنية الطبخ، أما «هاردنك» و«سبيلت»، فقد توغلا داخل الغابة، يبحثان عن الأشجار الملائمة، لصنع الأقواس والسهام، بعد ان اصطحباه **توبو** معهما .

نظر «هاردنك» إلى شجرة زان طرية، وقال :

أغصان الزان ملائمة لصنع الأقواس، لأنها مرنة وطرية! اقتطعا منها بعض الاغصان، وانهمكا في صناعة الأقواس ..

قال «هاردنك» بعد أن صنعا قوسين :

- علينا الآن ان نبحث عن اغصان ملائمة لصناعة السهام..

قال «سبيلت» :

- اظن ان شجرة الصفصاف تفي بالغرض .. لنذهب الى تلك الشجرة .

سار الاثنان نحو شجرة صفصاف عتيقة. وعندما مد «سبيلت» يده ليقتطع غصناً، جفل جفلة كبيرة، فقد كان «الغصن» أفعى كبيرة عاصرة، سرعان ما التفت على يده، وها هي تحاول الآن الالتفاف حول جسمه ..

لم ينتظر **توبو** لحظة واحدة ، بل أسرع يهاجم رأس الافعى بشراسة .. وبعد صراع استمر عشر دقائق ، استطاع «توبو» أن يقضي على الافعى ، وان ينقذ «سبيلت» الذي لم يصب بشيء .



[illegible] الأفعى

- ٣ -

قال «هاردنك» بعد أن أتم صناعة السهام :

ـ سأعلمك كيف تصطاد بالقوس والسهم .. انظر إلى تلك الشجرة البيضاء .. سنسدد سهامنا نحوها .

أخذ «سبيلت» سهماً، وضعه في قوسه، وسحب القوس بقوة، ثم اطلق السهم .. شق السهم الهواء، وهو يحدث أزيزاً مسموعاً، لكنه أصاب القدر الكبير، الذي تعب «بنكروفت» في صنعه .. صاح «بنكروفت» :

من الذي كسر قدري ؟!

نظر «هاردنك» إلى «سبيلت» ثم قال :

ـ أنت لا تعرف كيف ترمي السهم ! سأرمي أنا .. انظر .. احمل القوس هكذا .. واحمل السهم هكذا .. والآن .. اطلق !

أطلق «هادرنك» سهمه، فأحدث أزيزاً أعلى من الأزيز الذي .

أحدثه سهم «سبيلت» وبعد لحظات، سمعا صياح «نيب» :

- من اطلق السهم ؟ لقد مزق سروالي !

نظر «هاردنك» إلى «سبيلت»، وقال بعد لحظة صمت :

- ليس من الصعب صنع القوس والسهم · ولكن من الصعب جداً ان يتعلم المرء كيف يصطاد !

●●●

شبح البحيرة

- ١ -

قال «هاردنك» وهو يمعن النظر في أصدقائه، ثم فيما حوله، فيما بعد :

- من الافضل ان نستكشف الجزيرة ·· نظن ان لا أحد يسكنها ·· ولكن ألم تتساءلوا عن الطلقة النارية، التي أردت الغزالة ؟ من أطلقها ؟ يوجد شخص في الجزيرة إذن· يجب أن نبحث عنه، ونعرف فيما إذا كان صديقاً أم عدواً ينبغي الحذر منه ·· هيا بنا !

تسلحوا بالأقواس والسهام، واندفعوا يستكشفون الجزيرة، و«توبو» يتقدمهم ·

في البدء توجهوا نحو الجبل الأسود ·· تسلقوه . وعندما وصلوا

الى قمته، بدت لهم الجزيرة كلها، في غاية الوضوح .. أخذوا يتفحصون الجزيرة جيداً .. شاهدوا بركانا كبيراً، وبحيرة زرقاء كبيرة، اطلقوا عليها اسم «البحيرة الزرقاء» ..

قال «هاردنك»، وهو يحدق باتجاه «البحيرة الزرقاء» :

- لابد ان هذه البحيرة، تحوي سمكاً ؟

أضاف «سبيلت» :

- كم أحب السمك !

نظر اليه «نيب»، وقال :

- وهل هناك شخص، على وجه الأرض، لا يحب السمك ؟ كلنا نحب السمك .

قال «هاردنك» :

- لنذهب إذن إلى «البحيرة الزرقاء»، ونجرب حظنا في الصيد، أتمنى ان يكون أحسن من حظ صيد الطيور !

انحدروا من القمة، وتوجهوا نحو البحيرة، وأمامهم يقفز «توبو» بين الصخور، فرحاً !

- ٢ -

كان «تـوبـو» أول الـواصلين طبعـاً إلى البحيرة، يتبعـه «هربرت» الذي راح يحدق في الماء بتركيز حاد لعله يرى سمكة وفجأة صاح بفرح:

- سمك .. سمك كبير! البحيرة الزرقاء مليئة بالسمك .. يااللفرحة :

أخرجت احدى السمكات الكبيرات رأسها من الماء، فعالجها «هاردنك» بضربة سريعة بسهمه، فاصابها .. وبمثل لمح البرق، انطلق «توبو» نحو الماء، ليجلب الصيد الثمين . غطست السمكة في الماء، فغطس «توبو» وراءها .

طال غياب «توبو» لعدة دقائق .. صاح «هربرت» بألم:

- توبو ! كلبي العزيز «توبو» !

عندما انتهى «هربرت» من كلامه، نظر نحو الماء، فرآه وقد اصطبغ بلون الدم الأحمر القاني !

- ٣ -

قلق الرجال على صديقهم الأمين «توبو»، لكنه مالبث أن شاهدوه وهو يقذف بقوة، ككرة صغيرة، نحو قدمي «روبرتا» !

قال «نيب» :

- شاهدت يداً تقذف «توبو» !

أجاب «سبيلت» :

- لعلها يد انسان .

لكن «نيب» رد نافياً :

- لا، لا يمكن لأي انسان أن يعيش تحت الماء. انه شبح .. شبح حتماً ! انه شبح البحيرة !

وفجأة طفت سمكة كبيرة، فوق سطح ماء «البحيرة الزرقاء» .. سحبها «سبيلت»، ثم قال مخاطباً «هاردنك» :

- لقد اصابها سهمك، فقتلها !

بيد ان «هاردنك» عندما تفحص السمكة، قال :

- لا، لم يصبها سهمي اصابة قاتلة . انظروا إلى هذا الثقب الكبير ! انه ثقب لا يصنعه السهم .. شئ ما أصاب هذه السمكة ! ترى من فعل ذلك : انسان أم حيوان ؟ الانسان لا يستطيع العيش تحت الماء، كما ان الحيوان لا يستطيع أن يرمي «توبو» بمثل هذه القذفة ! .

اضاف «نيب» :

- ألم أقل لكم انه شبح .. شبح «البحيرة الزرقاء»؟ أو لعله شبح الجزيرة . سيقضي علينا حتماً .. اليوم أو غداً !

● ● ● ●

كهف الرعب

- ١ -

نظر «سيلت» نحو البحيرة ملياً، ثم قال:

- انها بحيرة جميلة!

أضاف «نيب»:

- لولا هذا الشبح!

قال «هاردنك»:

- دعنا من هذه الخرافات يا «نيب». أنا أنا اعرف من أين تستمد هذه البحيرة ماءها، ولكن إلى أين يذهب؟ دعونا نستطلع الأمر!

بعد أن انتهى «هاردنك» من كلامه، سار الاصدقاء بمحاذاة ضفة «البحيرة الزرقاء»، حتى وصلوا إلى نهايتها، فوجدوا

صخرة كبيرة، وبعض الأشجار.. سار «هاردنك» باتجاه الصخرة، وتبعته البقية..

قال «نيب» وهو ينظر الى الصخرة ملياً:

- لا أظن ان ماء البحيرة، يستطيع الجريان خلال هذه الصخرة! لكن «هاردنك»، قال:

- وجدت المكان!

ثم بحث حوله، فوجد قطعة خشب، ورماها في الماء، فجرت قطعة الخشب تحت الصخرة، ثم قال:

- تعالوا إلى هنا.. انظروا إلى خلف هذه الاشجار.. توجد فتحة كبيرة في الصخرة!

- ٢ -

كانت فتحة الصخرة كبيرة، كبيرة جداً، استطاعوا التسلل من خلالها بسهولة، ثم وجدوا أنفسهم داخل كهف كبير.. وداخل هذا الكهف رأوا عدداً من المدرجات الطبيعية، عندما

تسلقوها، قادتهم إلى كهف آخر. في هذه الكهف فتحات عديدة، تشبه النوافذ، تتسلل منها أشعة الشمس .. تطلع «هاردنك» حوله بفرح، ثم قال :

سيكون هذا الكهف مقرنا ! سننتقل إلى بيتنا الجديد هذا ! سنجلب كل حاجياتنا .. وسنصنع مناضد وأسرة، وأي شئ آخر نحتاجه .

لكن «سبيلت» تساءل :

- ولكن كيف نستطيع صنع المناضد والاسرة ؟ لا نملك سوى ايدينا !

أجاب «بنكروفت» بسرعة :

- وكيف كان جدنا الانسان الحجري، يصنع حاجاته ؟

- ٣ -

وفجأة مزق سكون الكهف، نباح «توبو» .. ثم قفز مسرعاً باتجاه حائط الكهف الكبير .. وعاود النباح ..

صرخ «هاردنك» .

- «**توبو**» .. ماذا حدث ؟ ما بك ؟

عاود «**توبو**» النباح، وهو ينظر نحو الجدار .. قال «هربرت» :

- رأيت جدار الكهف يتحرك !

أضاف «نيب» بخوف :

- ان هذا الكهف مسكون بالاشباح ! من يستطيع تحريك هذا الحائط الضخم ؟ انه شبح الكهف .. كهف الرعب ! لنخرج بسرعة .. لنترك كهف الرعب!

صندوق الأسرار

- ١ -

قال «هاردنك»، وهو ينظر نحو جماعته، بعد أن جلبوا حاجاتهم، من بيتهم القديم :

- اظن ان هذا المكان سيكون مقرنا الدائم .. علينا الآن أن نسرع في صنع ما نحتاجه .

تساءل «بنكروفت» :

- بأي شئ نعمل ؟ لا نملك أية أداة تساعدنا !

ابتسم «هاردنك» وقال :

- أداتنا هي الحجارة .. الحجارة ياعزيزي «بنكروفت» !

مسك «بنكروفت» حجارة، وأخذ يضرب بها صخرة كبيرة، لكنه جرح يده، فقال :

- أغسل الجرح بماء البحر، انه مفيد !

- ٢ -

اتجه «بنكروفت» نحو البحر، وهو ممسك بجرح يده .. وعندها أراد غطس جرحه في الماء، شاهد صندوقاً كبيراً .. فتساءل في سره :

- من أين أتى هذا الصندوق ؟ هل قذفه البحر لنا ؟

اقترب من الصندوق، ثم فتحه، فشاهد بداخله كل ما كانوا يتمنونه من أدوات، مطارق، مناشير، مسامير .. اسلحة نارية، وأشياء أخرى يحتاجونها. أسرع «بنكروفت» نحو الأصدقاء، وأخبرهم بما وجده، فأسرعوا نحو الصندوق، وهم لا يكادون يصدقون ما سمعوه .

قال «بنكروفت» :

- لم يقذف لنا البحر هذا الصندوق طبعاً ! لا أثر للماء عليه، فمعنى هذا انه لم يأت طافياً .. كما ان مثل هذا الصندوق الثقيل لا يمكن أن يطفو ! ترى أي شخص أحضره لنا ؟

فكر «هاردنك» في نفسه قليلاً، وتذكر ما مضى من حوادث مرت بهم .. هنالك أحد ما في هذه الجزيرة، ولكنه ليس الشبح الذي يتخيله «نيب» !

•••

القراصنة

- ١٠ -

كمل «تأثيث» البيت الجديد، بفضل الادوات التي عثروا عليها في ذلك الصندوق، الذي سموه «صندوق الأسرار» .. كان المقر الجديد، يحتوي على غرفتين، خصصت احداهما للمنام، وخصصت الاخرى للجلوس. وجهزت الغرفتان بالأسرة والمناضد والكراسي .. قال «هاردنك» :

- لم يبق لنا شئ نحتاجه، سوى صنع سفينة، تقلنا إلى الوطن لنبدأ من الآن .. واترك امر صناعتها لخبيرنا الكبير السيد «بنكروفت»، فهو مشهور جداً في صناعة السفن !

- ٢ -

انهمك الجميع في جلب ما يحتاجونه لصنع السفينة، وفي مساعدة «بنكروفت» .. وكانوا يستريحون كلما أحسوا بالارهاق .. وفي احدى المرات، وبعد ان انتهوا من تناول طعام الغداء، قال «سبيلت» :

- ألم تلاحظوا «توب» ؟ انه يجلس في نفس المكان، منذ قدومنا إلى هنا . وهو لا ينفك من النظر نحو الجدار .. ترى لماذا يفعل ذلك ؟ عقب «نيب» بقوله :

- انه ينظر دائماً إلى الجدار الذي تحرك .. لقد راقبته أنا أيضاً! لعل «توب» يرى شبح كهف الرعب ! هذا الجدار لا يمكن ان يحركه أحد غير شبح !

قال «هاردنك» :

- «نيب» أما تزال تؤمن بالاشباح حقاً ؟ صحيح ان الحائط لا يمكن أن يتحرك، لانه ثابت كما يبدو وهو ثقيل الوزن جداً !

وفجأة قطع حديثهم صوت بندقية ! ركضوا جميعاً الى النافذة الكبيرة، ونظروا نحو الخارج .. كانت سفينة تقترب من شاطئ الجزيرة.



«لوبو» يجلس في نفس المكان

- ٣ -

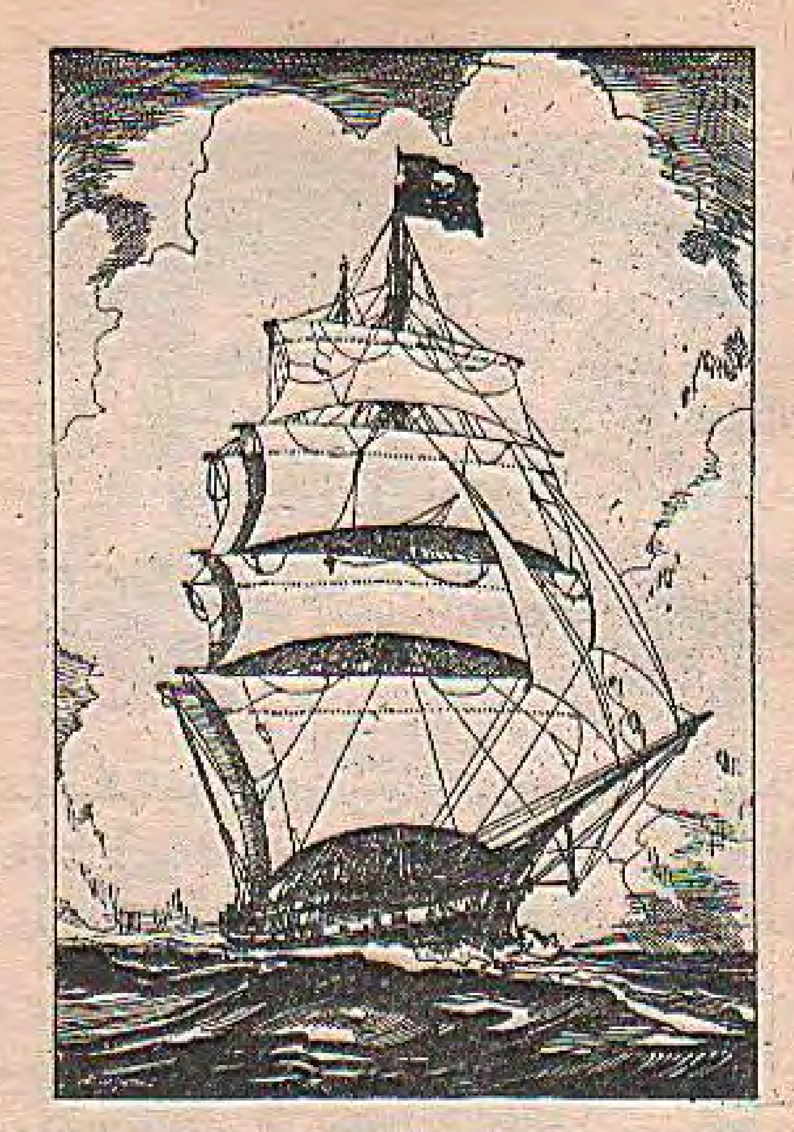
تساءل «سبيلته» :

- ترى هل هذه السفينة صديقة، وتعود بنا إلى أرض الوطن ؟

بيد أن «بنكروفت» سرعان ما أجاب :

- لا ياعزيزي .. لا ! انها ليست سفينة صديقة. انظر إلى علمها! انها سفينة قراصنة. لاحظ علمها الأسود! وأنا أعرف جيداً من هو صاحبها، انه «بوب هارفي». أخطر وأسوأ قرصان معروف .. ورغم ذلك سأذهب بنفسي، لأتحقق من الأمر! فلعله باعها !

عندما هبط الظلام تماماً، خلع «بنكروفت» ملابسه، وتسلل بخفة نحو البحر، ثم خاض في مائه، وأخذ يسبح بدون أن يحدث ضجة، نحو سفينة القراصنة. وعندما اقترب منها، شاهد على سطحها بعض القراصنة. وعند عدهم، وجدهم ثلاثين قرصاناً .. وسمع أحدهم يتكلم .. عرف الصوت بسرعة، انه صوت «بوب هارفي»، القرصان الشرير الخطر !



انها سفينة قراصنة

ـ ٤ ـ

سمع «بوب هارفي» يقول :

ـ انها جزيرة جميلة ·· سنبقى فيها فترة، ونخفظ اشياءنا فيها سنبني لنا بيوتاً ملائمة ·· نعم ·· سنبني بيوتاً تليق بالقرصان الشهير «بوب هارفي» ورجاله الأشداء !

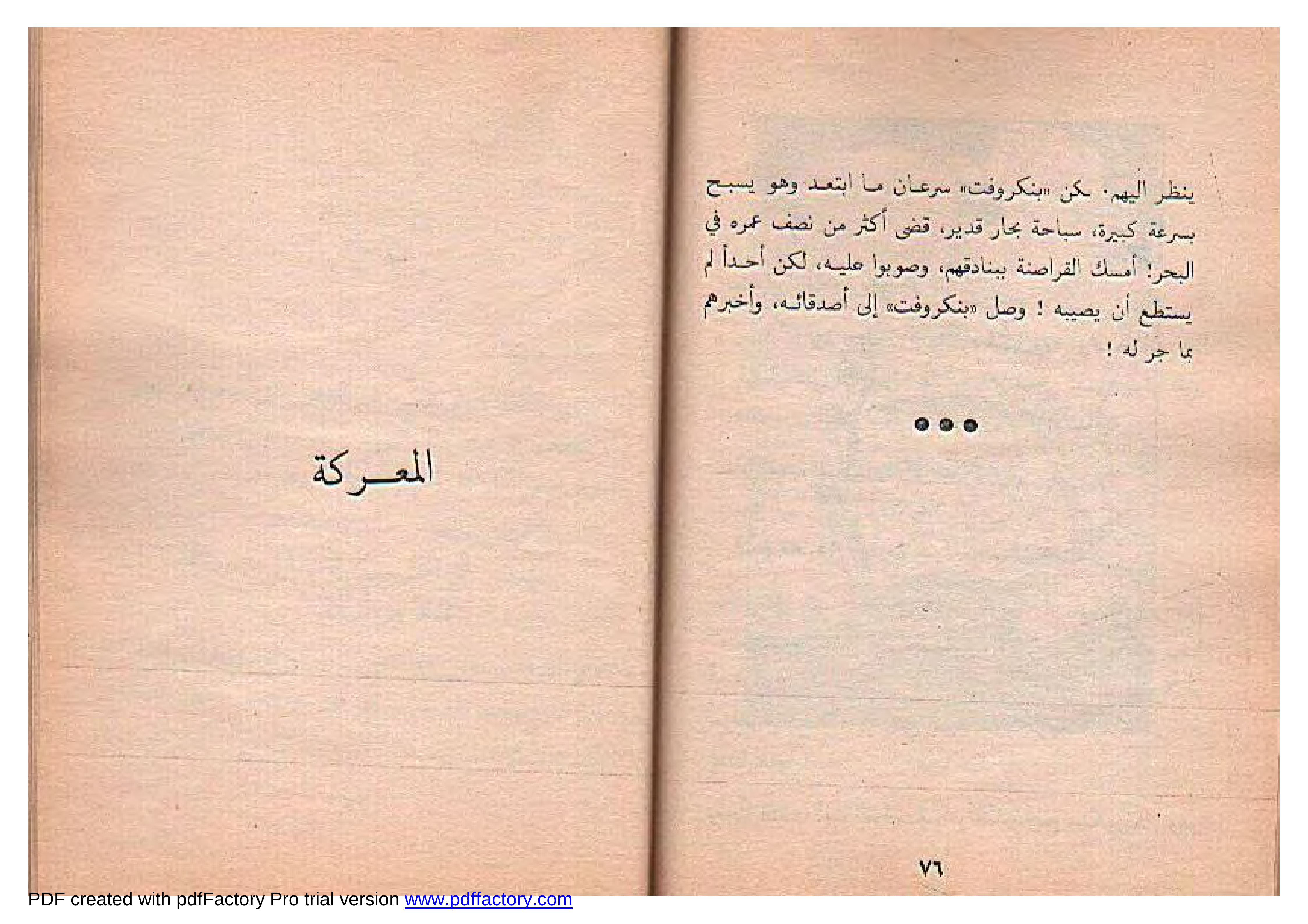
تساءل أحد القراصنة :

ـ لعل فيها ناس يسكنونها !

ابتسم «هارفي» ابتسامة خبيثة، قبل أن يجيب :

سأقتل كل من أجده على هذه الجزيرة، عندما تشرق شمس الصباح، سأستطلع الجزيرة بنفسي، لأرى، ان كان يعيش فيها أحد أم لا ·· سأقتل أي شخص أراه، سواء أكان رجلاً أم امرأة، أم طفلاً ! لن أبقي على هذه الجزيرة أي انسان ·· عدانا طبعاً !

وفجأة التفت أحد القراصنة، نحو الماء، فلمح «بنكروفت» وهو



ينظر اليهم. لكن «بنكروفت» سرعان ما ابتعد وهو يسبح بسرعة كبيرة، سباحة بحار قدير، قضى أكثر من نصف عمره في البحر! أمسك القراصنة ببنادقهم، وصوبوا عليه، لكن أحداً لم يستطع أن يصيبه ! وصل «بنكروفت» إلى أصدقائه، وأخبرهم بما جر له !

• • •

المعــركة

- ١ -

قال «هاردنك» :

نهيء بنادقنا، ثم نذهب الى الصخور التي تمتد نحو البحر .. سنذهب إلى نهاية تلك الصخور، ومنها ستتخذ مواضعنا، ونطلق منها النار على القراصنة، إذا اقتربوا منا ؟

أضاف «بنكروفت» :

- سينزلون إلى الجزيرة في الصباح . من الأفضل أن ننام، ونأخذ قسطاً من الراحة .

ذهبوا للنوم، وعند بزوغ الفجر، تناولوا فطورهم، ثم أخذوا بنادقهم وتوجهوا إلى نهاية الصخور، وراحوا يراقبون سفينة القراصنة، بحذر ..

بعد قليل، لاحظوا ان زورقاً قد أنزل من السفينة، ووضع في الماء، ثم نزل فيه عشرة من القراصنة· وعندما أصبح الزورق قريبا من الصخور، سمعوا أحد القراصنة يقول :

- لا تنسوا وصية «هارفي»، اقتلوا أي شخص ترونه !

عندما اقترب الزورق أكثر، رفع «هاردنك» يده، فحضّر الاصدقاء بنادقهم وعندما أنزل «هاردنك» يده، أطلق الرجال نيران بنادقهم باتجاه القراصنة، فسقط ثلاثة منهم، فعاد القراصنة بسرعة، نحو سفينتهم، وهم يسبون ويلعنون·

- ٢ -

أعطى «هاردنك» هذه الأوامر، بالحاح

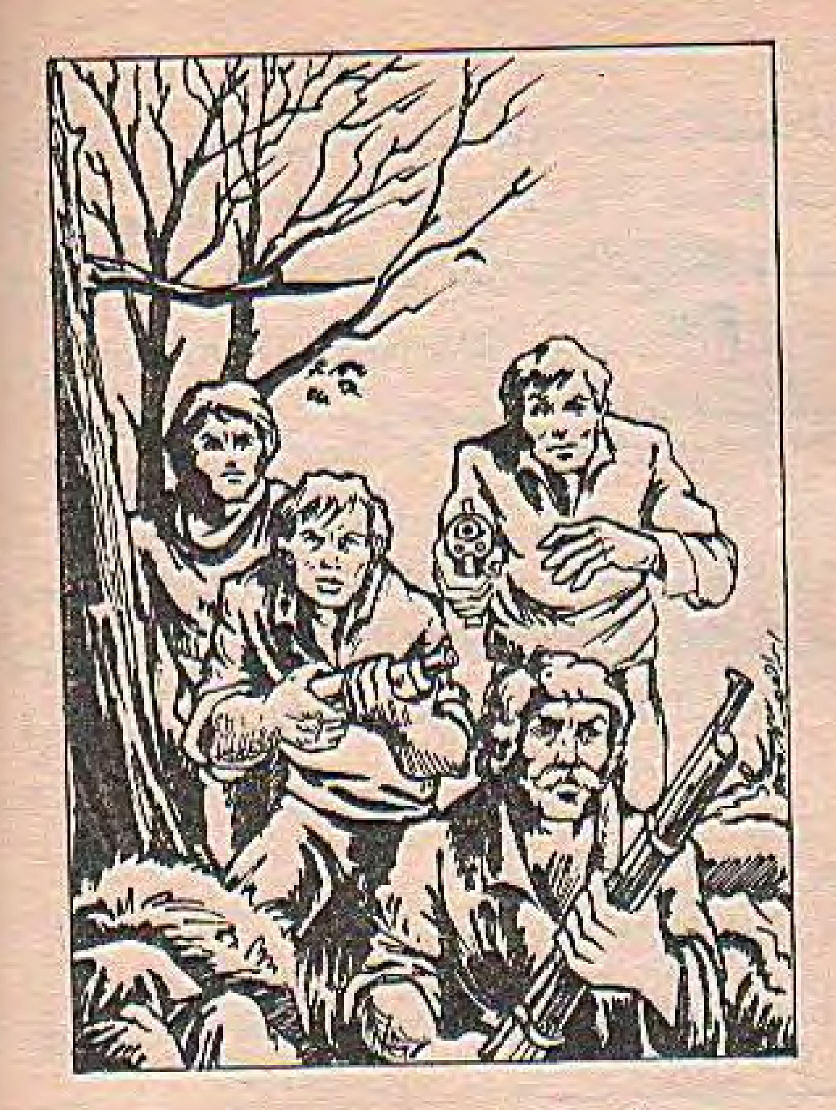
- هيا بسرعة! لنختبئ في الغابة ·· سيصوبون مدافع السفينة نحونا! هيا بسرعة !

أسرعوا جميعاً نحو الغابة· ولكن لم تمض إلاّ فترة قليلة، حتى

بدأت قذائف مدفعية السفينة تدوي عالياً، وتسقط على الصخرة حيث كان الأصدقاء يحتمون ·· بيد إن أحد القراصنة، شاهدهم وهم يتوغلون في الغابة، فأمر «بوب هارفي» ان تصوب نيران المدفعية نحوهم· قال «هاردنك» :

- أفضل مكان لنا، هو الاحتماء في الكهف! نحو الكهف بسرعة !

وصلوا إلى الكهف وهم يلهثون، وراحوا يراقبون القراصنة من النوافذ، فرأوا أربعة زوارق نزلت من السفينة، وهاهم القراصنة قد نزلوا فيها، وبدأوا استعداداتهم للتجذيف نحو اليابسة !



أفضل مكان لنا هو الاحتماء في الكهف

- ٣ -

وفجأة دوّى صوت انفجار عنيف .. قصم السفينة إلى نصفين، وأهلك القراصنة. أسرع الرجال نحو البحر .. شاهدوا السفينة تضطجع بنصفيها على صخرة، لا تبعد عن اليابسة كثيراً .. انتظر الأصدقاء، حتى هدأت أمواج البحر العالية، التي أحدثها الانفجار الهائل، ثم ساروا نحو السفينة، بعد ان اطمأنوا ان لم يبق على ظهرها أحد .. قال «هاردنك» :

- سنأخذ من السفينة ما نحتاجه لصنع السفينة، حتماً ان فيها حاجات مفيدة .. ولكن من فجر السفينة وأنقذنا ؟ لماذا كان الانفجار بهذا العنف الشديد ؟ ترى هل ان النار قد لامست مخزن البارود، فانفجر بهذا العنف الشديد؟ ترى هل ان النار قد لامست مخزن البارود، فانفجر هذا الانفجار ؟

لكن «بنكروفت» كان ينظر نحو شئ أسود صغير، التقطه من الارض. نظر نحو «هاردنك» قائلاً :

- لا ياعزيزي .. لم ينفجر بارودها وطعمها .. انظر .. هذا هو الذي فجر السفينة، انه جزء من طوربيد .. لقد ضربت سفينة القراصنة بطوربيد ! تساءل «سبيلت» :

- ولكن من أين جاء الطوربيد ؟ سيقول «نيب» ان الشبح فجر السفينة .. أليس كذلك يا «نيب» ؟!

لكن «نيب» لم يجب، لأنه كان قد حث الخطو نحو السفينة المحطمة! ، وتبعه الرجال، وأخذوا من السفينة ما يحتاجونه، وعادوا الى الكهف، وبال «هاردنك» مشغول بهذا الحادث الأخير !

● ● ● ●

ملك الجزيرة

- ١ -

حـل فصـل الشتـاء. وكان الرجـال منهمكين في صنـع السفينة. كانوا يعملون بجد لا مثيل له. كان «بنكروفت» هو الآمر الناهي الآن، حتى ان «هاردنك» لم يستطع أن يعصي له أمراً، وكان معجباً بمهارته وخبرته في صناعة السفينة.

رفع «هربرت» نظره نحو السماء، ثم قال :

- السماء مكفهرة .. ستمطر !

ولكن عندما رفع «بنكروفت» نظره، ورأى السماء، قال :

- لا يابني، لن تهطل علينا قطرة واحدة .. السماء اسودت بسبب البركان.

تساءل «هربرت» بعد أن تلفت حواليه :

- ولكن أين «توب» ؟ لم أره منذ فترة . سأذهب للبحث عنه .. «توبو» .. «توبو» .. أين أنت ؟

لكن «هربرت» عاد مسرعاً بعد قليل، وهو يقول بذهول :

- تعالوا وانظروا! هيا بسرعة .. باب مفتوحة في جدار الكهف !

أسرعوا يتبعون «هربرت» نحو الكهف، فشاهدوا باباً مفتوحة، كما قال «هربرت». وكانت الفتحة في المكان الذي كان يحدق فيه «توبو». لكن «توبو» لم يكن هناك !

- ٢ -

سمعوا بعد قليل نباح «توب» .. انه خلف الفتحة .. اتجه «هاردنك» الى المكان الذي يصدر فيه «توب» نباحه. فلاحظ جذاذة ورق، موضوعة على الحائط .. سحبها نحوه، وقرأ فيها هذه الرسالة القصيرة :

أعزائي .. أصدقائي ..

أنا مريض جداً .. سأموت . تعالوا اليّ أرجوكم .

«نومان»

قال «سبلت» بتعجب :

- «نومان» .. «نومان» .. أنا أعرف هذا الاسم، وأعرف صاحبه. انه قرصان شهير جداً، واسع الحيلة وذكي، حتى انه لم يستطع أحد الامساك به، أبداً !

انحدر الجميع نحو داخل الكهف، وغذوا السير فيه، مسافة طويلة، حتى وصلوا إلى كهف واسع. وفي هذه الكهف، رقدت بحيرة هادئة. وعندما راحوا يمعنون النظر فيها، أضئ الكهف بأنوار ساطعة .. في وسط البحيرة، شاهدوا غواصة، فاتجهوا نحوها .. وعندما اعتلوها، شاهدوا غرفة، فدخلوها، فوجدوا داخل الغرفة سريراً .. وفي السرير اضطجع رجل عجوز .. عجوز جداً .. اتجهوا نحوه، وحيوه، فرد تحيتهم وأخذ يتحدث معهم بصعوبة !



في وسط البحيرة شاهدوا غواصة .

- ٣ -

قال الرجل العجوز :

- أنا «نومان» .. لقد سمعتم عني حتماً .. كنت قرصاناً .. وأنا أملك غواصة متطورة، صنعتها وصممتها بنفسي .. وكنت أغزو السفن بواسطتها، فلم يستطع أحد الامساك بي . وعندما امتد بي العمر، كما ترون، سرّحت جميع رجالي، واستوطنت هذه الجزيرة .. وعشت فيها وحيداً .. كنت ملك الجزيرة، كما كنت ملك القراصنة. كنت الانسان الوحيد عليها، لقد شاهدتكم وساعدتكم .. أنا الذي حملت «هاردنك» وأنقذته .. وأنا الذي اصطاد لكم الغزالة، بعد أن عرفت بجوعكم .. وأنا الذي انقذت الكلب وقتلت السمكة .. أنا كذلك جهزت لكم الصندوق الملئ بالأدوات. كما انني أنا الذي وجهت طوربيداً نحو سفينة القرصان الشرير «بوب هارفي» .. كنت اصغي لما تقولونه .. وكان الكلب يراقبني .

شكره الرجال كثيراً ، ثم قال له «هاردنك» :

- اخبرنا الآن ياسيدي .. أي شئ تستطيع عمله لأجلك ؟ نحن على اتم الاستعداد لخدمتك !

قال «نومان» :

- لا تستطيعون فعل أي شئ لي .. سأموت الليلة .. ولكن قبل موتي، سأعطيكم هذا الصندوق الكبير .. انه ملئ بالذهب وأندر أنواع الحجارة الكريمة .. انها لكم .. ولكن أرجوكم .. عندما أموت، افتحوا باب الماء في الغواصة، واجعلوها تغرق .. هذه هي وصيتي .. اذهبوا الآن .. وتعالوا مساءً !



سأعطيكم هذا الصندوق الكبير

انصرف الرجال، حسب طلب «نومان» •• وفي طريقه العودة، غمر «هاردنك» يده في ماء البحيرة، ثم وضع ما علق بها من ماء في فمه، ليتذوقه، ثم قال :

ـ انه ماء مالح •• ماء البحر •• هذه البحيرة جزء من البحر اذن •• لكنه ماء حار •• لماذا هو حار ياترى ؟

وعندما لمس احدى الصخور بيده، قال :

ـ الصخرة حارة أيضاً •• انها حارة جداً •• البركان قريب من هنا، فاذا تهشمت هذه الصخرة، فان ماء البحر سيتسلل إلى داخل البركان، وسيحدث انفجار ••

عند هبوط الظلام، وحلول الليل، رجعوا إلى الغواصة، فشاهدوا «نومان» وقد لفظ أنفاسه الأخيرة •• فتحوا باب الماء، فأخذت الغواصة تغوص وتغوص، حتى استقرت في القعر !

●●●●

إنفجارُ البُركان

- ١ -

أتم الرجال صنع السفينة ·· وها هي الآن جاهزة، طافية فوق سطح البحر، الأزرق المخضر الجميل ·· جهزت السفينة بما يحتاجونه للرحلة، من طعام وماء ·· قال «هاردنك» :

- سنبحر عند طلوع الفجر ·· سننام الليلة في كهفنا ·· انها ليلتنا الأخيرة في هذه الجزيرة ·

بعد أن أتموا عشاءهم الفاخر، المتكون من لحم الطيور المشوي، وسمك التونة اللذيذ، ذهبوا للنوم، وسرعان ما استغرقوا في نوم عميق ·· كل منهم يحلم بطلوع الفجر، ليبحروا !

مرت الساعات هادئة، ولكن سرعان ما أحمرت السماء، وأخذت نيران شديدة تخرج من فوهة البركان ·· بدأت الأرض

تهتز .. أخذت أجزاء من الصخور تتساقط من جدران الكهف .. سقطت صخرة على قدم «سبيلت» فنهض من نومه مذعوراً، ونظر حوله، ثم اقترب من النافذة، فرأى البركان المنفجر، وهو يقذف حممه الملتهبة نادى بسرعة :

- استيقظوا استيقظوا .. ثار البركان ! لقد ثار البركان !

- ٢ -

تهدم جزء كبير من البركان، فاندفع منه سيل كبير من الحمم، باتجاه الجزيرة، دخلت النيران الزاحفة إلى الغابة، فأخذت الاشجار تحترق، واخذ السيل يمد أصابعه الخطرة المميتة داخل أرجاء الغابة .

قال «هاردنك» :

إذا وصل السيل إلى البحيرة فان ماءها سيغلي، ويسلقنا أحياء .. أصبح الكهف غير أمين .. لنتسلق قمة الجبل .. انه آمن مكان .

بعد أن انهى «هاردنك» كلامه، أسرع الرجال نحو الجبل، بعد أن حملوا معهم صندوق الذهب والجواهر .. وعندما تسلقوا الجبل، نظروا إلى اسفل، فرأوا الجزيرة تحترق من كل جانب ومكان !

- ٣ -

قال «هاردنك» :

- خطر كبير يحدق بنا .. ستنفجر الجزيرة .. وسننفجر معها ! سيحدث هذا في وقت قريب !

تساءل «سبيلت» :

- متى تظن سيحدث الانفجار يا «هاردنك» :

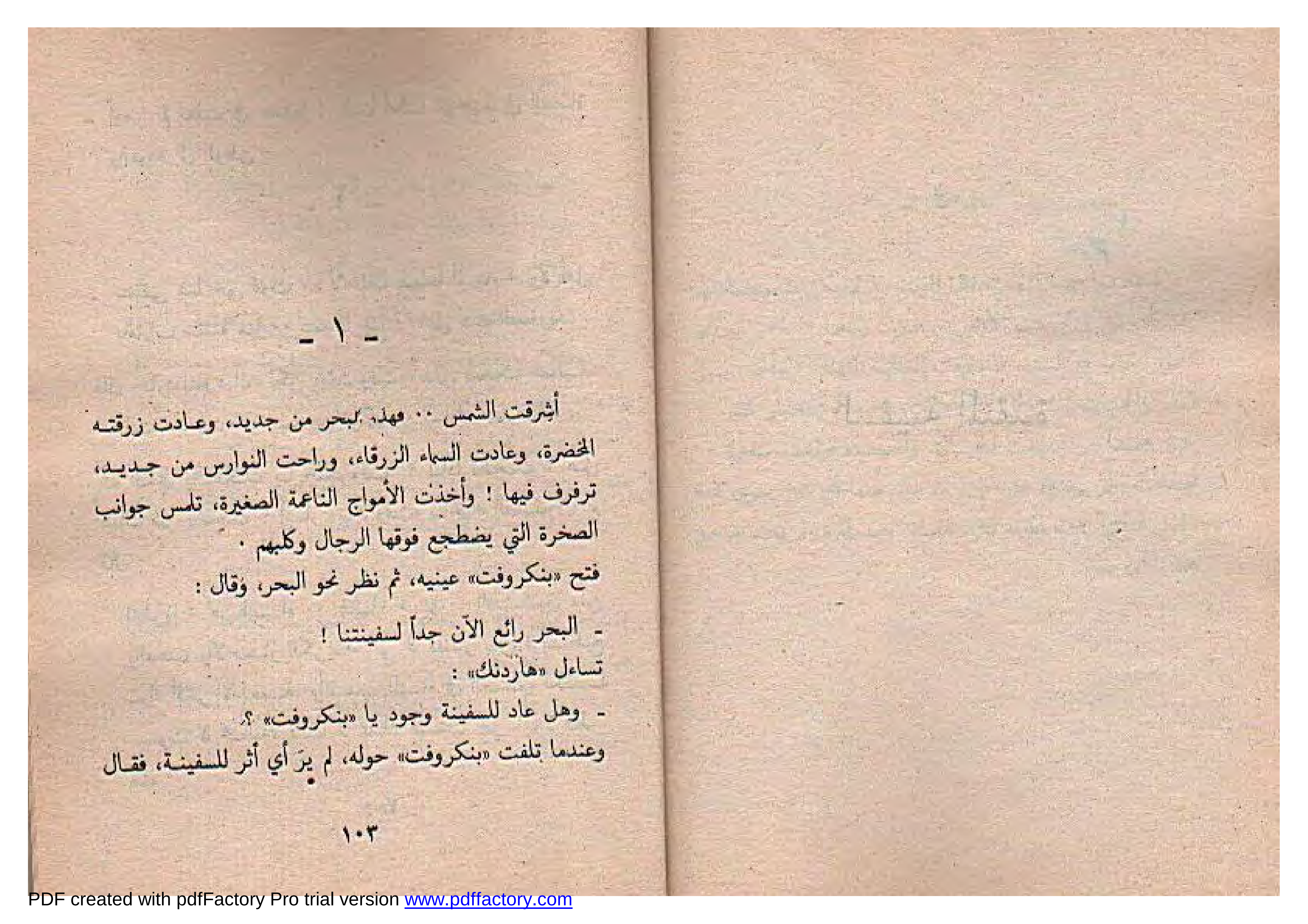
أجاب «هاردنك» :

- بعد ساعة واحدة .. بعد ساعة لن يبق حي واحد في الجزيرة !

- ٤ -

استعدوا جميعاً لاستقبال الموت، إذ لم يكن باستطاعتهم عمل أي شئ ! تحركت الأرض، واهتزت بعنف .. أحمر البركان احمراراً غاية في الشدة، فاحترقت الغابة كلها .. وأخذ سيل النار والحمم يتحرك بكل الاتجاهات، فحدث انفجار كبير .. كبير جداً .. تحطمت الجبال، وأصبحت قطعاً صغيرة .. أصبحت الجزيرة في خبر كان، ولم يبق منها أي شئ، سوى قمة الجبل الذي يقف عليه الاصدقاء! بعد فترة، لم يعد يسمع هناك أى صوت !

السفينة المنقذة



- ١ -

أشرقت الشمس .. فهدأ البحر من جديد، وعـادت زرقتـه المخضرة، وعادت السماء الزرقاء، وراحت النوارس من جـديـد، ترفرف فيها ! وأخذت الأمواج الناعمة الصغيرة، تلمس جوانب الصخرة التي يضطجع فوقها الرجال وكلبهم .

فتح «بنكروفت» عينيه، ثم نظر نحو البحر، وقال :

- البحر رائع الآن جداً لسفينتنا !

تساءل «هاردنك» :

- وهل عاد للسفينة وجود يا «بنكروفت» ؟

وعندما تلفت «بنكروفت» حوله، لم يرَ أي أثر للسفينـة، فقـال

- أوه ! كم تعبت في صنعها ! كانت أملنا الوحيد في النجاة والعودة إلى الوطن ·

- ٢ -

- سنبقى هنا حتى نموت ·· لا نملك طعاماً أو ماء · ولا أمل باقتراب سفينة منا ·· سنموت هنا ·· على هذه الصخرة !

قال «هاردنك» ذلك، لكن «بنكروفت» أطلق ضحكة عالية، ايقظت «سبيلت» و«نيب» من نومهما ·· تساءل «هاردنك» :

ما الذي يضحكك يا «بنكروفت» ؟ لماذا تضحك ؟ هل هناك شئ يضحك ؟ أشار «بنكروفت» باتجاه الصندوق، ثم قال :

- انظروا ! نحن أغنياء ·· أغنياء جداً ·· الصندوق ملئ بالذهب والاحجار الكريمة، التي لا تقدر بثمن ! نستطيع شراء أفخر الاطعمة، وأعذب المياه في العالم، لكننا سنموت لا محالة، لأننا لا نملك فتات خبز ! ولا قطرة ماء !

- ٣ -

راحت الشمس ترتفع عالياً في السماء، فأصبح الجو حارا ·· وأخذت الحرارة تزداد بصورة تدريجية ·

صرخ «هربرت» من العطش، طالباً الماء· وبدأ يتحدث عن أمه، وبلدته وأصدقائه وزملائه في المدرسة· وفي الحقيقة انه لم يكن يعرف أو يعي ما يقول ·· وبعد قليل، سقط على وجهه، مغمياً عليه· تقدم نحوه «بنكروفت» محاولاً حجب أشعة الشمس المحرقة عنه ·· بعد لحظات، سقط «سبيلت» أيضا مغمياً عليه ·· لم يبق إذن سوى «بنكروفت» و «هاردنك»·

نظر «هاردنك» نحو صديقه «بنكروفت»، وقال له مازحاً :

- من سيسقط أولاً : أنا أو أنت ؟ من فينا الأقوى ؟

عندما انتهى «هاردنك» من كلامه، بدأت السماء تسود في عينيه، ثم سقط هو الآخر ·

لم يبق، إذن، سوى «بنكروفت» ·· ماذا يفعل لوحده ؟

خلع معطفه، ثم قال :

- إذا جاءت سفينة، فسأحتاج إلى علم لأشير اليها .. هذا المعطف سيفيدني في التلويح !

- ٤ -

نظر «بنكروفت» نحو «توب» الذي يبدو انه غاب عن الوعي، هو الأخر. ثم نظر نحو الصندوق، وفتحه، ثم حدق في محتوياته الثمينة، قبل أن يقول :

- عندنا مال كثير .. كثير جدا. يكفينا ويكفي أبناء أبنائنا .. ولكن ما فائدته الآن ؟ بيننا وبين الحياة لحظات .. لحظات قصيرة ! انها النهاية .. لقد حلت نهاية حياتنا !

نظر «بنكروفت» حوله، فظن انه شاهد سفينة .. وظن أيضاً انه شاهد «بوب هارفي» وهو يمد له قدح ماء عذب، لكنه عندما مد يده ليستلمه، اختفى القدح !

ظن أيضاً، انه شاهد «نومان» في غواصته .. هل قصة «نومان» حقيقية، ام انها أضغاث أحلام ؟

- ٥ -

استيقظ «بنكروفت» من خياله ، ومد بصره فيما حوله .. شاهد سفينة ! قال في نفسه :

- أحقاً ما أرى ؟ سفينة ؟

فرك عينيه ونظر إلى الامام .. صرخ من جديد :

- انها سفينة ! سفينة حقيقية !

رفع معطفه، وأخذ يلوح به، بكل ما يستطيع من قوة! جرب أن يصيح .

- النجدة .. النجدة ! انقذونا !

لكن فمه كان جافاً كالتراب، فلم يستطع نطق كلمة واحدة، بل لم يستطع أن ينطق بحرف واحد !

ترى هل شاهده رجال السفينة ؟

ابتعدت السفينة عنه .. رفع معطفه، وأخذ يلوح به .. وأخيراً، توقفت السفينة ! نعم .. توقفت السفينة !



رفع معطفه وأخذ يلوح به للسفينة

أنزل من جانبها زورق .. وتبع ذلك انزال بعض الرجال، الذين راحوا يجدفون نحو صخرة «بنكروفت» .. وعندما وصلوا إليهم، اسرعوا بحملهم إلى السفينة، واسعفوهم، وانقذوهم من الموت المحقق !

ثم راحت السفينة الصديقة، تشق طريقها، نحو أرض الوطن، الذي قتلهم الشوق اليه !